النعمة والحق

النعمة والحق

مجلة مسيحية تصدر مرة كل شهرين

السنة الرابعة والعشرين

مارس وأبريل ٢٠١٦

العدد ١٤٠

في هذا العدد :

افتتاحية العدد	سفر إرميا	١
موضوع العدد	إرميا .. محددات الخدمة النافعة	٤
موضوع العدد	سفر إرميا	٥
موضوع العدد	مدخل سفر إرميا	١١
موضوع العدد	بيت الركابيين	١٥
الأخبار السارة	تحذيرات لم تلق انتباهًا	٢٠
شخصيات ومواقف	حياة يوسف	٢١
تأملات هادئة	--	٣٢
من روائع الكلمة	الله .. بين قصده وخطته	--

من الخطير ألا تلقى التحذيرات الأمينة انتباهًا، فهذا أقصر طريق إلى الهلاك. فكيف النجاة؟!

❁

اقرأ الأخبار السارة ص ٢٠

- الاشتراك السنوي (٦ أعداد) ١٠ جنيهات، أو ما يوازي ١٠ دولارات في الخارج (بخلاف أجرة الإرسال بالبريد). بريد إلكتروني: gtmag@ilovejesus.net
- جميع الحوالات والمراسلات على ص.ب. ١٩٧ - رقم بريدي ١٢٣١١ - الإسكندرية. مع مراعاة وضوح الاسم والعنوان كاملاً.
- رقم الإيداع بدار الكتب ٦٤٦٢ لسنة ١٩٩٣ - النعمة والحق ت: ٤٢٧٤٠٣٥ - الإسكندرية (٠٣).

سفر إرميا*

بالرغم من أن سفر إرميا لا يتضمن اسم الكاتب إلا أن التقليد اليهودي والترجمة السبعينية، وجمهور الآباء المسيحيين: يتفقون على أن إرميا هو الذي كتبه كمرثاه على أورشليم بعد سقوطها. ومن الواضح أن كاتب السفر كان شاهد عيان لخراب أورشليم

طابع السفر

واضح من اسم السفر أنه مرثاة وأنه مفعم بالمشاعر والأحزان ويوضح السفر أن الخطية والتمرد هما السبب وأن الآلام والسبي هما النتيجة. وهو بحسب الأصل العبري كُتب بطريقة الشعر الأبجدي، مثل بعض المزامير، ولا سيما مزمور ١١٩؛ وأيضًا الأقوال الأخيرة في سفر الأمثال عن المرأة الفاضلة. وكل اصحاحات هذا السفر أبجدية، كل منها يشتمل على الأبجدية الكاملة، بمعنى أن كل حروف اللغة، أو كل الكلمات، تعبر عن الأحزان التي نتجت عن احتقار الرب ورفض ناموسه.

الأصحاحات ١؛٢؛٤ تتكون من ٢٢ آية كما أنها تبدأ بكلمة «كيف». وهو اسم السفر في الأصل العبري (وأما الاسم «مراثي إرميا» فهو اسمه في الترجمة السبعينية). ونلاحظ أن ١+٢+٤=٧ وهي واحدة من سباعيات الكتاب الكثيرة.

---

* جانب من معلومات وموضوعات هذا العدد مقتبسة بتصرف من المراجع القيمة التالية: سياحة مع النبى إرميا للأخ/ رشاد فكري – إرميا للأخ/ أيرنسايد – من التكوين إلى الرؤيا للأخ/ يوسف رياض (المجلة).

وأما الأصحاح ٣ فهو يتكون من ٦٦ آية (٢٢×٣). وتتكرر الأبجدية في ثلاث مرات متتالية، فالثلاث الآيات الأولى بحسب الأصل العبري تبدأ بالحرف الأول "الألف"، ثم الثلاث الآيات التي تليها تبدأ بحرف الباء، وهكذا. وبذلك يضع الرقم ٣ بصمته الواضحة على هذه المرثاة الثالثة. ورقم ٣ رقم التحديد، كما أنه رقم القيامة. وأخيرًا فإن الأصحاح الخامس مكون من ٢٢ آية، والأبجدية فيه كاملة ولكنها غير مرتبة.

ونلاحظ أن الأصحاح ١، ٢ الآية فيه منقسمة إلى ثلاثة أجزاء، بينما الأصحاح ٤ الآية مقسمة إلى قسمين.

تواريخ السفر:

كُتب السفر بعد سقوط أورشليم، الذي تم في عام ٥٨٦ ق.م

موضوع السفر:

في هذا السفر يُعبر النبي عن اعترافه بما صار، وحزنه لما هو حادث، ورجائه فيما سيأتي. وتظهر هذه المراثي آلام النبي الذي شهد الحوادث المذكورة في أصحاحه الأخير من نبوته،

يمكن تلخيص سفر إرميا في الآية التي كتبها سليمان الحكيم:

«اَلْبِرُّ يَرْفَعُ شَأْنَ الأُمَّةِ، وَعَارُ الشُّعُوبِ الْخَطِيَّةُ»

وأعني بها هدم أورشليم وخرابها بواسطة جيوش نبوخذنصر. ولكن ككل النبوات، فإن الإتمام النهائي والكامل للكلمات التي استعملها النبي، تنصرف إلى زمن قادم، هو زمن «الضيقة العظيمة» (مت٢٤: ٢١) أو«ضيقة يعقوب» (إر٣٠: ٧).

ويمكن تلخيص السفر في هذه الآية التي كتبها سليمان الحكيم: «اَلْبِرُّ يَرْفَعُ شَأْنَ الأُمَّةِ، وَعَارُ الشُّعُوبِ الْخَطِيَّةُ» (أم١٤: ٣٤).

وهناك ثلاث تطبيقات على هذا السفر. التطبيق الأول، وهو التطبيق المباشر، على إرميا في أحزانه بسبب خطايا صهيون وما صار لها. والتطبيق الثاني وهو تطبيق نبوي على البقية التقية في المستقبل، بسبب ما سوف يحدث لها من خراب ومصائب بسبب شرورها. والتطبيق الأشمل والأكمل وهو أيضًا تطبيق نبوي، على المسيح رجل الأحزان، بسبب ما صار له، نتيجة خطايانا وشرورنا نحن (إش٥٣: ٤).

تقسيم السفر:

تقسيم سفر المراثي سهل، فهو مقسم إلى خمسة أصحاحات، كل منها يعتبر قصيدة أبجدية، كما ذكرنا. وموضوع هذه القصائد كالآتي:

أصحاح ١: خراب أورشليم الكامل.

أصحاح ٢: غضب الرب على أورشليم.

أصحاح ٣: أحزان إرميا وصلاته لطلب المراحم.

أصحاح ٤: زوال المجد وحلول القضاء.

أصحاح ٥: صلاة اعتراف ورجاء.

إرميا..

محددات الخدمة النافعة

من أجمل ما نتعلمه من دراسة نبوة إرميا هو ما نلاحظه في شخصية النبي الذي امتزج كيانه ومشاعره تمامًا بخدمته. كما نلاحظ كذلك أنه لم يكن ليتحرك، يتكلم أو يتنبأ إلا بإرشاد إلهي. وعلى مدى سنوات خدمته الطويلة قبل السبي والتي بلغت نحو ١٨ عامًا، لم نقرأ له سوى عشرة أحاديث أو رسائل بارزة لهذا الشعب. مما يؤكد أن فاعلية الخادم ترتبط بشخصيته وتكريسه بأكثر جدًا من أقواله أو حتى أفعاله. كما يبرهن على أن تأثير الخدمة لا يرتبط بالضرورة بكثرتها أو باتساع نطاقها الجغرافي؛ بل يتحرك الخادم وفقًا للإرشاد الإلهي وأن تكون خدمته بقوة الروح القدس. ليس مهمًا الكم والكثرة بل الأهم هو الكيف والنوعية.

على أن عدم قبول غالبية الشعب لأقواله ورفضهم لها وله شخصيًا، في بعض الأوقات، يذكرنا بمبدأ آخر مهم؛ وهو أن الخدمة النافعة والصحيحة في أيام الضعف والتشويش الروحي ليس بالضرورة أن تلقى من جموع المعترفين قبولاً عريضًا، وأن الخادم الأمين لسيده ليس بالضرورة هو ذائع الصيت المشهور بين كل الأوساط وصاحب الكاريزما العالية. بل كثيرًا ما يصدق العكس.

إنها مبادئ كتابية ذهبية، قد يكون علاها مع الزمن التراب لكن الذهب يبقى ذهبًا، لنا أن نرفع من عليه الأتربة لمجد الرب، ولبركة شعبه، وإثمار خدامه.

سفر إرميا

لو اعتبرنا الأصحاح الأول من سفر إرميا بمثابة مقدمة نرى فيها دعوة النبي للخدمة النبوية والأصحاح الأخير عبارة عن ملحق تاريخي للسفر وهو ليس بقلم إرميا ولكن واحدًا من كتبة الوحي حركة الروح القدس ليضيف تاريخ حصار أورشليم ومصير الشعب. فلماذا هذا الأصحاح الذي هو بمثابة الخاتمة نجدها أيضًا في سفر الملوك الثاني (٢مل٢٤: ١٨-٢٠، ٢٥: ١-٢١، ٢٧-٣٠). ولكن لماذا أضيف هذا الملحق التاريخي مرة أخرى؟ ومن الواضح بل ومن المناسب إضافته لكي يرينا أن القضاء الذي تنبأ به إرميا قد تم حرفياً والتحذيرات الإلهية التي أعطيت بواسطة إرميا قد تمت. وفي نفس الوقت ليظهر كذب الأنبياء الكذبة الذين نطقوا برسالتهم الكاذبة وكلماتهم التي نطقوا بها وقد صدقهم الشعب قد ثبت كذبها وزيفها. والنبي الذي كان قد رُفض وتألم قد ثبت صدق كلامه وها هي قد أصبحت الأرض خرابًا لإكمال كلام الرب بفم إرميا النبي حتى استوفت الأرض سبوتها لأنها سبتت (استراحت) في كل أيام خرابها لإكمال سبعين سنة (٢أخ ٣٦: ٣١). وهذا ما سبق وقاله الرب على فم موسى (لا٢٦: ٣٢-٣٥). فكم من مرة لم يريحوا الأرض في السنة السابعة بل فلحوها وزرعوها والآن بقيت الأرض بلا فلاحة سبعة سنين عشر مرات. فإن الشعب في عصيانه لم يدع الأرض تستريح، فإن الله يستطيع أن يريحها سواء أرادوا أو لم يريدوا، وكما أنهم لم يسمعوا لصوت الرب وينادوا بالعتق في السنة السابعة، فقد دفعهم الرب ليد أعدائهم ليُستعبدوا في أرض ليست لهم (إر٣٤: ١٥-٣٢).

وبعد إكمال السبعين سنة جاء كورش الفارسي وأطلق نداء في كل المملكة وهذا كله يبرهن صدق النبوة «لأَنَّ الرُّؤْيَا بَعْدُ إِلَى الْمِيعَادِ، وَفِي النِّهَايَةِ تتكَلَّمُ وَلاَ تكْذِبُ. إِنْ توَانتْ فَانتظِرْهَا لأَنَّهَا سَتأْتِي إِتيَانًا وَلاَ تتأَخَّرُ» (حب٢: ٣).

غير أن السفر يختم بملحمة من الرحمة توضح لنا جمال العبارة التي تقول: «فِي وَسَطِ السِّنِينَ عَرِّفْ. فِي الْغَضَبِ اذْكُرِ الرَّحْمَةَ» (حب٣: ٢). فالله في وسط الغضب يذكر الرحمة وأنه حتى في أقسي الظروف الصعبة التي مرت بها الأمة قد أظهرت رحمته لبيت داود إذ أنه في السنة السابعة والثلاثين لسبي يهوياكين أظهر أوبل مرودخ الذي ارتقى العرش سنة ٥٦١ ق.م. علامة إكرام من نحو ملك يهوذا المخلوع يهوياكين بأن أخرجه من السجن وكلّمه بالخير وأعطاه منصبًا رفيعًا وكرسيًا شريفًا تفوق بهما على سائر الملوك المخضعين لبابل وغيّر ثياب سجنه ومنحه حق الأكل من الخبز الملوكي. وهكذا أعيد له شيء من الكرامة والمكانة بفضل حظوته لدى أويل مرودخ الذي عَين له أن يأكل الخبز كل أيام حياته (إر٥٢: ٣١-٣٤).

القسم الأول: من ص٢-ص٢٥

وفي هذا القسم يأخذ إرميا دور الاستعطاف والتوسل لضمير الشعب الضال المتمرد والمتحول عن الرب إلهه والتحذيرات ضد قضاء الله الوشيك الوقوع وفي ص٢٥ الذي هو خاتمة هذا القسم نجد القضاء الذي سيقع على أرض يهوذا وجيرانها بواسطة ملك بابل. وبعد تمام السبعين سنة سيعاقب الرب ملك بابل ومملكة الكلدانيين ويجعلها خربًا أبدية (إر٢٥: ٨-١٤). ومن هنا تصبح مملكة يهوذا التي انغمست في الوثنية وبعد طول الصبر الإلهي لوعمي أي ليسوا شعب الرب ومكانهم المعين لهم كشعب الله في الأرض قد انتهى وإن كان ليس إلى الأبد كما سنرى في القسم الثاني من السفر لأن

دعوة الله وهباته هي بلا ندامة وعندما نحاهم الله كشعبه بدأت أزمنة الأمم التي كانت أول إمبراطورية فيها هي بابل الرأس من ذهب.

والأصحاحات في هذا القسم من ص٢ إلى ص٢٠ عبارة عن مجموعة نبوات عامة وغير مؤرخة والتاريخ الوحيد المذكور في هذه الأصحاحات الذي نجده في ص٣: ٦ حيث نقرأ «وقال لي الرب أيام يوشيا الملك» ومن هنا ندرك أن الأصحاحات الستة الأولى على الأقل كانت خدمة إرميا الأولى، ويُحتمل أن هذه الأصحاحات العشرين الأولى تمثل خدمة إرميا النبوية المبكرة. وهذه الأصحاحات تنتهي بحادثة رد فعل لخدمته ممثلة في مقاومة فشحور بن أمير الكاهن (إر٢٠: ١-٣).

أما النبوات بعد الأصحاح العشرون فهي نبوات خاصة ومؤرخة ومرتبطة بحوادث تاريخية ويجب أن نلاحظ الفكر الموجود في الأصحاحين الثاني والعشرون والثالث والعشرون حيث أنها استمرار للنبوات التي بدأت في الأصحاح الحادي والعشرون. وأن الأصحاح الثاني والعشرين يتكلم عن ملوك يهوذا الأخيرين الذين جاءوا بعد يوشيا فيجيء الكلام عن يهوآحاز في (ع١١) ويهوياقيم في (ع١٨) ويهوياكين (كونيا) في (ع٢٤) وصدقيا في (ص٢٢: ١) هؤلاء الملوك الأشرار كانوا رعاة كذبة حيث قادوا الشعب إلى الضلال وهذا ما يتكلم عنه الأصحاح الثالث والعشرون.

وفي هذا القسم أيضًا نجده عشر رسائل موجهة إلى هذا الشعب:

١. الرسالة الأولى نجدها في ص٢: ١-٣: ٥.

٢. الرسالة الثانية نجدها في ص٣: ٦- ٦: ٣٠.

٣. الرسالة الثالثة عند باب الهيكل في ص٧: ١-١٠: ٢٥.

٤. الرسالة الرابعة (العهد المكسور) في ص١١: ١-١٢: ٢٧.

٥. الرسالة الخامسة المتمثلة في منطقة الكتان ص١٣: ١-٢٧.

٦. الرسالة السادسة بخصوص المجاعة والقحط ص١٤: ١-١٥: ٢١.

٧. الرسالة السابعة بخصوص عدم زواج النبي ص١٦: ١-١٧: ١٨.

٨. الرسالة الثامنة (عند أبواب المدينة) ص١٧: ١٩-٢٧.

٩. الرسالة التاسعة (إناء الخزاف) ص١٨: ١-٢٣.

١٠. الرسالة العاشرة (الإبريق الفخاري) ص١٩.

القسم الثاني: من ص٢٦-ص٥١

ونرى في هذا القسم تفصيلات كثيرة عن الأحكام القضائية التي يستخدم فيها الرب نبوخذنصر بسبب رفضهم لكل الرسائل السابقة التي وجهت إليهم. كما نجد الرحمة في وسط الغضب حيث أن رجوعهم سيكون بمقتضي العهد الجديد الذي سيقطعه الرب معهم على مبدأ النعمة الذي لا يفشل. ويلاحظ أن النبوات في هذا القسم نبوات خاصة ومؤرخة كما أن النبوات المذكورة في ص٤٠-ص٤٤ نبوات نطق بها إرميا بعد سقوط أورشليم وفيها نجد حكم جدليا وهروب البقية إلى مصر آخذة معها إرميا بالقوة. أما ص٤٥ عبارة عن كلام موجه إلى باروخ وص٤٦-ص٥١ عبارة عن نبوات نطق بها إرميا على الأمم المجاورة:

١. نبوة عن مصر (إر٤٦: ١-٢٨).

٢. نبوة عن فلسطين (إر٤٧: ١-٧).

٣. نبوة عن موآب (إر٤٨: ١-٤٧).

٤. نبوة عن العمونيين (إر٤٩: ١-٦).

٥. نبوة عن آدوم (إر٤٩: ٧-٢٢).

٦. نبوة عن دمشق (إر٤٩: ٢٣-٢٧).

٧. نبوة عن قيدار وحاصور (إر٤٩: ٢٨-٣٣).

٨. نبوة عن عيلام (إر٤٩: ٣٤-٣٩).

٩. نبوة عن بابل (إر٥٠، ٥١).

ترتيب النبوات تاريخيًا:

كما سبقت الإشارة أن النبوات التي نطق بها إرميا أيام حكم ملوك يهوذا ليست مرتبة ترتيبًا تاريخيًا وعلى سبيل المثال الأصحاحان الحادي والعشرون والرابع والعشرون مؤرخان في عهد الملك صدقيا في حين أن الأصحاح الخامس والعشرون يرتبط بتاريخ حكم الملك يهوياقيم، والأصحاحان السابع والعشرون والثامن والعشرون يختصان بحكم الملك صدقيا في حين أن الأصحاحين الخامس والثلاثين والسادس والثلاثين يختصان بحكم الملك يهوياقيم والسبب كما ذكرنا أن فكر الروح القدس في السفر هو التسلسل الأدبي لا التاريخي ولكن يمكن ترتيب هذه النبوات ترتيبًا تاريخيًا على النحو التالي:

١. نبوات نطق بها أثناء حكم الملك يوشيا الذي ملك ما يقرب من ٣١ سنة وهذه النبوات مدونة من ص١-ص٢٠.

٢. نبوات نطق بها أثناء حكم الملك يهوآحاز مذكورة في (إر٢٢: ١-١٢).

٣. نبوات نطق بها أثناء حكم الملك يهوياقيم الذي ملك ما يقرب من ١١ سنة وهي مدونة في الأصحاحات (٢٢: ١٣-١٩، ٢٥، ٢٦، ٣٥، ٣٦، ٤٥، ٤٦: ١-١٢).

٤. نبوات نطق بها أثناء حكم الملك يهوياكين الذي حكم حوالي مائة سنة وهي مدونة في ص ٢٢: ٣٠، ص٢٣.

٥. نبوات نطق بها أثناء حكم الملك صدقيا الذي ملك١١ سنة وهي مدونة في الأصحاحات (٢١، ٢٤، ٢٧، ٢٨، ٢٩: ٣٢-٣٤،٣٧، ٣٨، ٣٩، ٤٩: ٣٤-٣٩، ٥١: ٥٩-٥٦).

٦. نبوات نطق بها في يهوذا بعد سقوط أورشليم وهي مدونة في (٤٠-٤٣: ٧).

٧. نبوات نطق بها في مصر مدونة في (٤٣: ٨-١٣، ٤٤).

٨. نبوات لم يذكر لها تاريخ ولكن من خلالها يمكن أن نستدل على الزمن الذي قيلت فيه على وجه التقريب مثل ص٣٠، ص٣١ وجزء من ص٤٥ وجزء من ص٤٦، ٤٧، ٥٠ وجزء من ص٥١.

الموضوع الرئيسي لسفر إرميا:

الفكر الرئيسي لهذا السفر يمكن فهمه في هذين التعبيرين (سأعاقب – وسأشفي) فإن كان هناك فشل من جانب الإنسان يستدعي القضاء والعقاب والتأديب لكن سيكون هناك أيضًا شفاء على مبدأ النعمة والرحمة من جانب الله حيث أنه في وسط الغضب يذكر الرحمة فلابد أن ينتصر الله في النهاية من خلال محبته. صحيح هناك غضب لكن في نفس الوقت هناك محبة إلى المنتهي ومفتاح هذين التعبيريين (سأعاقب – وسأشفي) نجده في الآيات التالية: (إر٣٠: ١٥-٢٢، ٣١: ٢٧، ٢٨، ٣٢: ٤٢-٤٤).

مدخل

سفر إرميا

تشكل النبوة وملحقها الشعري جزءًا من الكتاب المقدس مليئًا بالمناشدات المفعمة بالعاطفة والمثيرة لها. فإن نظرنا إلى النبوة باعتبارها كشفًا للمستقبل وحسب، ولا سيما كشف أمجاد ملكوت المسيح، لن نجدها زاخرة بذلك نسبيًا بالمقارنة مع كل من إشعياء وحزقيال ودانيال، تلك الأسفار التي تصنف معها بصفتها أحدى نبوات الأنبياء الكبار. فهي لا تتصف بما في الأولى من جلال، وفي الأخيرة من رؤيا شاملة بعيدة المدى، وفي الباقية من بيان جمٍّ وتصوير عجيب، ولكن أية من هذه الخصائص لا ترجى في نبوة مؤلفة من سلسلة رسالات مقصود بها أساسًا أن تخاطب الضمائر. على أننا إن نظرنا إلى النبوة بمفهوم العهد الجديد لها، باعتبارها خدمة تأتي بالنفس إلى حضرة الله، تدرك في الحال إلى أي مدى ينطبق ذلك تمامًا على ما نجده هنا. قد يصدق الأمر نفسه على سفر حزقيال إلى حد بعيد؛ ولكن يبدو أن الشعب في ذلك السفر قد أُسلموا للقضاء عمليًا منذ البداية، وأن ارتدادهم شامل للغاية، وقد سبق أن سُبي قسم كبير منهم، شأنهم شأن النبي نفسه (حز١:١). أما في إرميا، وعلى الأقل في النصف الأول من السفر، فمن الواضح أن أمامنا خدمة تؤدى بهدف رد القلوب المرتدة عن الإله الذي تحولت عنه. بل إن أمامنا محاولة لاستعادة الشعب إلى الله، إرجاء للدينونة التي سبق إصدار حكمها (٢مل٢٢: ١٢-٢٠). وذلك هو ما يميز سفر إرميا ككل، ويطبعه بطابعة الخاص. فإن ما يعبر عنه في حزقيال بالصورة الرمزية — أعني مغادرة مجد الشكينة ببطء وتريث (الأصحاحات ١-: ٤، ١٨، ١٩) — يُستحضر

أمامنا في إرميا بصورة التوسلات الحارة والمناشدات التي تستنهض الضمائر والتي أحدثها الروح القدس في الرائي الرقيق القلب والمفرط الحزن على حالة شعبه الساقط.

غالبًا ما استوقفني ما بدا أنه تشابهه مميز بين إرميا ونحميا. فكلاهما كانت تدفعه المحبة الحارة لشعب الله ومدينته. وكلاهما كان كسير الروح، منقبض النفس، يرتعد من كلمة الرب.

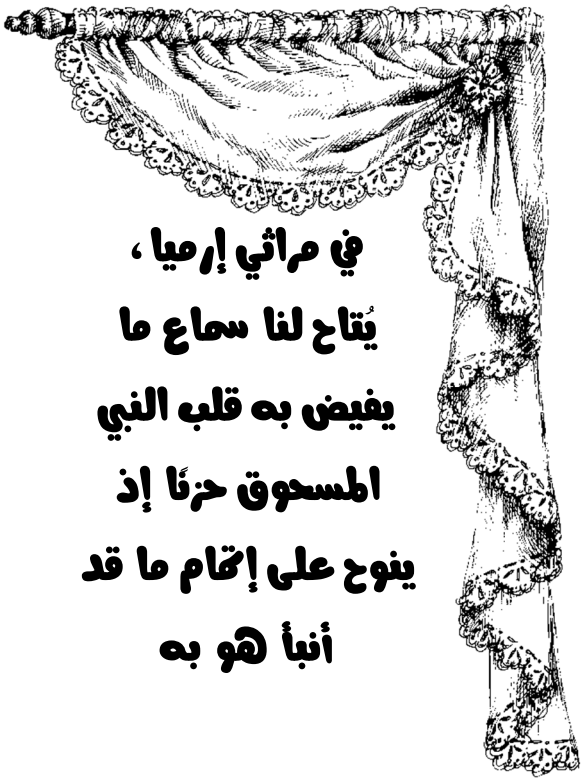

وكلاهما كان سريع التأثر، إذ غالبًا ما يندفع باكيًا. على أنه ربما كان في الخادم الأول من رفعة الخلق ونكران الذات أكثر مما في الثاني. فمثلاً يقول نحيما: «اذْكُرْنِي يَاإِلهِي مِنْ أَجْلِ هذَا، وَلاَ تمْحُ حَسَنَاتِي الَّتِي عَمِلْتُهَا» (نح١٣: ١٤)، وهذا رأي يتكرر غير مرة. أما إرميا فما تكلم قط هكذا. مرة واحدة يصرخ عندما يرى رسالته قد رُفضت وولى رجاء توبة يهوذا، والشعب يحوكون عليه المكائد «اذْكُرْ وُقُوفِي أَمَامَكَ لأَتَكَلَّمَ عَنْهُمْ بِالْخَيْرِ لأَرُدَّ غَضَبَكَ عَنْهُمْ» (إر١٨: ٢٠). وقد كان أقل جسارة من الآخر بطبيعته، إذ يظهر ضعف قلبه مرة بعد أخرى، وإن كان هذا إنما يتيح فرصة أفضل ليظهر الله قوته (كما

هي حال جدعون وعزرا). «حِينَمَا أَنَا ضَعِيفٌ فَحِينَئِذٍ أَنَا قَوِيٌّ» هذه هي ''قوة الضعف التي لا تقهر''، تلك التي تتكل على الله القدير.

كذلك يبدو نحميا أكثر شبهًا بما يدعوه الناس "وطنيًا" من إرميا الذي أشار بالخضوع للنير البابلي؛ ولكنه واضح في هذا أن كلا منهما كان له فكر الله للزمن الذي عاش فيه. فأحدهما قام في نهاية طريق الانحدار والارتداد ؛ أما الآخر ففي بداية عهد جديد من النهضة الزمنية والبركة الأرضية. وكلاهما كان رجلاً من رجال الله. فليتنا نتنافس في الاقتداء بما عملته نعمته تعالي في كلا منهما.

وإذ نأتي إلى سفر إرميا بالذات، نجده ينقسم طبيعيًا إلى قسمين رئيسين، مع ملحق زادته يد لاحقة، وإن كان بالطبع موحى به من الروح القدس على السواء. في الأصححاحات ١-٢٤، نسمع توسلات النعمة من الرب إلى شعبه الضال العنيد. هذا القسم ذا طابع أدبي أكثر مما هو مخصص للإنباء بحوادث معينة. أما الأصحاحات ٢٥-٥١، فهي تسرد بأكثر تفصيل أحكام دينونة الله على يد نبوخذنصر، وقد ترتبت على رفض الرسالات السابقة، على أنها تنطوي على وعود بالبركة والتجديد في المستقبل في نهاية سبعين سنة من السبي. أما الزمن الحالي، زمن التشتت، منذ قطع المسيح، فنصيبه التجاوز بصمت. "إلى هنا كلام إرميا". ثم أن الأصحاح ٥٢ هو رواية تاريخية لتنفيذ الدينونة المتنبأ بها لكن المؤجلة طويلاً؛ قارن بين هذا الأصحاح و(٢ملوك٢٤: ١٨-٢٠؛ ٢٥: ١-٧). وتفيدنا الآيات الختامية أنه كما تمت نبوات الانتقام، كذلك ستتم تلك التي تتحدث عن الإصلاح والتجديد، نظرًا لأن يهوياكين لم يُترك ليموت في السجن بل نال حظوه لدى ملك بابل، مما يشكل عربونًا لما سيحدث بعد.

وفي المراثي، يُتاح لنا سماع ما يفيض به قلب النبي المسحوق حزنًا إذ ينوح على إتمام ما قد أنبأ هو به. ما كان أبهج أن يتبين لخادم الله العزيز هذا خطأ جميع نبواته، وأن

يلقى هو الخزي، لو أن الشعب نجا!! من هذه الجهة، هو بخلاف يونان على نحو مبارك؛ فيونان غضب عندما مُنحت النعمة لأهل نينوى التائبين، على حساب ما يمكن أن يخسره من سمعته النبوية، أو بسبب رغبته المحتملة في أن لا تنجو نينوى من العقاب، وهي التي عانى إسرائيل منها. وما يعمق حزن إرميا ويمرره أن الدينونة جاءت وفق ما استحقه شعب عاص قاسي الرقبة، إلا أنه ما زال يتحول إلى الرب طالبًا المعونة والتجديد. «أَرْدُدْنَا يَا رَبُّ إِلَيْكَ فَنَرْتَدَّ. جَدِّدْ أَيَّامَنَا كَالْقَدِيمِ» (مرا٥: ٢١).

يا ليت الذين يهتمون برعاية خراف القطيع وحملانه اليوم. يتصفون أكثر بالمحبة ونكران الذات اللذين ميزا خادم الله العزيز هذا الذي لم تتمرر روحه من المرفوضين كما تتمرمر أرواحنا غالبًا، بل زادت محبته عمقًا كلما أمعن الذين تستهدفهم في رشقه بالإهانة والإذلال. وما أكثر شبهًا في هذا المضمار «برجل الأوجاع»! فالواقع أنه يمتاز بهذه الصفة، حتى أن معلمي اليهود اجتهدوا أن يجدوا فيه المتألم الصابر الموصوف في إشعياء ٥٣. واحدٌ فقط كما نعلم ينطبق عليه هذا الكلام حق الانطباق. ولكن في هذا الكلام بعض ما يصف محبة إرميا وصبره في غمرة حزنه الشديد للغاية، بحيث يكون ذلك «الواحد الآخر» (أع٨: ٣٤) الذي يجعله أساتذة اليهود الرافضون للمسيح بديلاً من متألم الجلجثة القدوس. ليتنا نصير أكثر فأكثر مطابقين لطرقه المباركة هنا على الأرض، وقد «ترك لنا مثالاً لنتبع خطواته»!

بيت الركابيين

(إرميا ٣٥)

على طرف نقيض مؤثر من قصة الاختلاف والغدر، تلك المدونة في الأصحاح الذي فرغنا تواً من التأمل فيه، نجد أمامنا الآن هذه الحادثة المليئة بالعبر، في الأصحاح الحالي.

يطلب الرب إلى النبي أن يذهب إلى بيت الركابيين ويكلمهم، ثم يدخل «بهِمْ إِلَى بَيْتِ الرَّبِّ إِلَى أَحَدِ الْمَخَادِعِ وَاسْقِهِمْ خَمْرًا» (ع١، ٢). وكان هذا في أثناء عهد يهوياقيم؛ وبالتالي، فهو سابق لنقض الشعب للعهد في الأصحاح السالف بعدة سنوات. ولكن عرضه في هذا السياق ينطوي على ترتيب أدبي جميل، مما يفند تمامًا ذلك الزعم الخبيث بأن الأجزاء المختلفة في هذا السفر قد جمعها كيفما اتفق أحد الكتاب المتأخرين.

لم يكن الركابيين أصلاً من جماعة إسرائيل، بل كانوا قينيين، من قبيلة يغلّف أصلها الغموض. ومن المعتقد عامة أنهم كانوا ينتسبون إلى المديانين، بما أن يثرون حما موسى كان من القينيين (قض٤: ١١). وقد وقف حابر القيني وزوجته ياعيل بجانب إسرائيل في الحرب مع الكنعانيين، تلك التي تزعمها سيسرا الذي قتله ياعيل لما التجأ إلى خيمتها.

وفي (١أخ٢: ٥٥)، نجد الركابيين معدودين مع بني يهوذا: «هُمُ الْقِينِيُّونَ الْخَارِجُونَ مِنْ حَمَّةَ أَبِي بَيْتِ رَكَابَ». وكان بواسطة ممثلهم الشجاع يوناداب بن ركاب، أنهم

كسبوا مكانة ممتازة أول الأمر. فهو قد خرج للاقاة ياهو بعد مسحه ملكًا على إسرائيل من قبل النبي غير المسمى الذي أرسله أليشع من راموت جلعاد. فبعدما أباد ياهو بيت آخاب الشرير، وكذلك كثيرين من بيت أخزيا ملك يهوذا، كان منطلقًا في مركبته إلى السامرة، فإذا به قد «فَصَادَفَ يَهُونَادَابَ بْنَ رَكَابٍ يُلاَقِيهِ، فَبَارَكَهُ وَقَالَ لَهُ: هَلْ قَلْبُكَ مُسْتَقِيمٌ نَظِيرُ قَلْبِي مَعَ قَلْبِكَ؟ فَقَالَ يَهُونَادَابُ: نَعَمْ وَنَعَمْ». فهتف ياهو فجأة: «هَاتِ يَدَكَ» فناوله إياها، وأصعده ياهو إلى المركبة، قائلاً: «هَلُمَّ مَعِي وَانْظُرْ غَيْرَتِي لِلرَّبِّ». ونستنتج من هنا، بما لا يقبل النقض، أن ياهو كان يعرف يهوناداب جيدًا بصفة كونه رجلاً مكرسًا لعبادة الرب وكارهًا للأصنام. ويعبر الاسم الذي يحمله على تقوى أبيه إذ سماه بما يعني «الرب أعطي بسخاء طوعي». وبينما هو في معية الملك الغيور لكن القاسي، نجده يطلب البحث للتأكيد من كون أحد من عبيد الرب لم يختلط بعبده البعل في هيكل السامرة قبيل قتلهم امتثالاً لأمر ياهو. ثم لا نجد له أي ذكر آخر، حتى نصل إلى الأصحاح الذي نحن بصدده.

كم واحداً منا يتصرف كمن يعرف قانيه حقًا؟ نحن لسنا لأنفسنا، بل لذلك الذي باع كل ما له ليشترينا. إلا أنه ما أكثر ما يصرف المؤمنون أنظارهم عن العلوفة الطيبة، ويتحولون إلى خرنوب هذا العالم بدلاً منها!

وفقًا لكلمة الرب، يأخذ إرميا يازينا بن إرميا، واحدٍ آخر غير النبي، وإخوته وبنيه وسائر بيت الركابيين، ويدخل بهم إلى مخدع بني حانان أحد رجال الله، داخل

الهيكل، حيث يجعل أمامهم آنية ملىء بالخمر، ويقول لهم :«أشربوا خمرًا!» (ع٣-٥). ولكن بني ركاب يرفضون الدعوة بكل شهامة، معللين ذلك بأن يهوناداب المذكور (ويُدعى هنا ياهو ناداب بن ركاب) قد أوصاهم، منذ ثلاث مئة سنة تقريبًا، بألاَّ يشربوا خمرًا ولا يبنوا بيوتًا ولا يزرعوا زرعًا ولا يغرسوا كرومًا أو يمتلكوها، بل يسكنوا في الخيام كل أيامهم، لكي تطول أعمارهم في الأرض التي تغربوا فيها. وقد أطاعوا هذه الوصية حرفيًا من أيام يوناداب إلى اجتياح نبوخذنصر للبلاد. فإن وجود جيوشه جعل من المستحيل عليهم أن يواصلوا البقاء على سكناهم غير المحصنة، فانتقلوا إلى أورشليم إنقاذًا لحياتهم. ولكن، مع أنهم اضطروا إلى السكن في مدينة مسورة، ما كانوا لينتهكوا الوصية التي تحرم عليهم الشرب من نتاج الكرمة (الآيات ٦-١١) ويزداد تأثرنا باحترامهم لكلمة سلفهم العظيم وبطاعتهم لها، عندما نأخذ في الاعتبار حالة إسرائيل ويهوذا الفاسقة الفاسدة. كان في تصرفهم موعظة حية في الخضوع للناموس لأي من يعرف ما عملوه. ولذلك يؤمر إرميا أن «اذْهَبْ وَقُلْ لِرِجَالِ يَهُوذَا وَسُكَّانِ أُورُشَلِيمَ: أَمَا تَقْبَلُونَ تَأْدِيبًا لِتَسْمَعُوا كَلاَمِي، يَقُولُ الرَّبُّ؟» (الآيات ١٢، ١٣). ولكن سجلهم — ويا للأسف — شاهدً على أنهم إنما عرفوا ناموسه ليتعدوه. فمنذ يوم صنعوا العجل في البرية إلى وقت خدمة إرميا بينهم، وتاريخهم سجل طويل مُخزي من العصيان والرفض العنيد لكلمته. وكان الله، قبل هذا بزمن طويل، قد نادي على لسان إشعياء: «اِسْمَعِي أَيَّتُهَا السَّمَاوَاتُ وَأَصْغِي أَيَّتُهَا الأَرْضُ، لأَنَّ الرَّبَّ يَتَكَلَّمُ: رَبَّيْتُ بَنِينَ وَنَشَّأْتُهُمْ، أَمَّا هُمْ فَعَصَوْا عَلَيَّ. اَلثَّوْرُ يَعْرِفُ قَانِيَهُ وَالْحِمَارُ مِعْلَفَ صَاحِبِهِ، أَمَّا إِسْرَائِيلُ فَلاَ يَعْرِفُ. شَعْبِي لاَ يَفْهَمُ» (إش١: ٢، ٣). فإذا كانوا أقل تجاوبًا من البهائم التي ثباد، أمالوا آذانهم بعيدًا عن ناموسه، وأبوا السلوك في طريق وصاياه.

أليس في هذا الاتهام رسالة خطيرة للمسيحيين؟ فما أعم هذه الروح المعاندة نفسها، حتى بين الذين قد أُشتروا بثمن، بدم المسيح الثمين! كم واحدًا منا يتصرف كمن يعرف قانيه حقًا؟ نحن لسنا لأنفسنا، بل لذلك الذي باع كل ما له ليشترينا – ويالها من صفقة قام بها؟ وما هو معلف صاحبنا إلا كلمة الله المقدسة التي غالبًا ما نجدها مهملة ومصروفًا عنها النظر في بيوت المسيحيين؟ وما أوفر ما فيها من علوفة طيبة، وكلها في متناول قطيع المسيح! إلا أنه ما أكثر ما يصرف المؤمنون أنظارهم عنها ويتحولون إلى خرنوب هذا العالم بدلاً منها! نخشى أن يكون هنالك قلة فرق من الناحية المعنوية بين حالة يهوذا الأدبية في أيام الانحطاط وحالة بيت الله اليوم. لنتدبر الأمر، ونتعلم العبرة من هؤلاء الركابيين الأمناء.

ترمز الخمر، في الكتاب المقدس، إلى الفرح (قض٩: ١٣؛ مز١٠٤: ١٥). وكان على النذير في القديم أن يمتنع عنها، لأنه لم يجد فرحه في خليقة فسدت. وبنو ركاب، باعتبارهم غرباء ونزلاء، لا يمسون ما ينتج من كرمة الأرض. هؤلاء يرمزون إلى أولئك الذين يطلبون فرحًا أسمى مما يقدر هذا العالم أن يعطيه، وأعمق وأبقى منه. وإذ ليس لهم ها هنا مدينة باقية، ويسكنون في خيمة السائح، غير واضعين الأسس في هذا المشهد الأرضي، يسعون طالبين المدينة الآتية – وما أعظم الفرق بينهم وبين الخاضعين لهذا الدهر بموجب خدمة موقوتة زائلة، وكذلك بينهم وبين الرؤساء والشعب العديمي الأمانة في أيام إرميا!

ثم يردف الرب قائلاً إن بني ركاب قد أقاموا كلام سلفهم بكل أمانة؛ ولكن شعبه لم يسمعوا له، مع أنه أعطاهم كلامه «مبكرًا ومكلمًا». فقد أرسل إليهم الأنبياء واحدًا بعد واحد، طالبين إليهم الامتناع عن طرقهم الشريرة وإصلاح أعمالهم بالرجوع حقًا إلى شخص الرب من جميع آلهتهم الزائفة. فلو أطاعوا صوته هكذا، لكان يُنجحهم بعد

ويبقيهم في أرضهم. ولكن لم يكن سميع ولا مجيب؛ لم يميلوا آذانهم ولا سمعوا توسلاته.

لذلك يتعين مرة أخرى على الإنسان الذي أحبهم كثيرًا حتى انسحق قلبه حزنًا عليهم، أن يقوم بواجبه الثقيل في إعلامهم بالدينونة المحتملة التي تنزل بهم سريعًا. فكل الشر الذي تكلم الرب به عليهم، لابد أن يقع قريبًا على المدينة وعلى البلاد، لأنه لما كلمهم «لم يسمعوا»، ولما دعاهم «لم يجيبوا» (الآيتين ١٦، ١٧). هذا هو عكس ما نجده في أمثال١: ٢٨، حيث يُنذر المعاندون بوقت قادم يقول عنه الله «حِينَئِذٍ يَدْعُونَنِي فَلاَ أَسْتَجِيبُ. يُبَكِّرُونَ إِلَيَّ فَلاَ يَجِدُونَنِي». وهذه هي العاقبة الرهيبة لمثل المسلك الذي سار فيه يهوذا الخائنون ويسير فيه العالم المسيحي الذي يعادلهم خيانة.

وأما بيت الركابيين، فقد كُشف لهم، بتفويض من الرب بالذات، أنه لا ينقطع لهم إنسان يقف أمام الرب إلى الأبد، ومن أجل مراعاتهم الأمينة لوصايا يوناداب أبيهم (الآيتان ١٨، ١٩). وفي الواقع أن عشيرة هذا الرجل التقي لم يأت التاريخ على ذكرها، منذئذٍ وعلى مدى السنين، سواء التاريخ المقدس أو المدني؛ ولكننا نستخلص من الوعد المدون هنا أن حُفداء ناداب مازالوا موجودين في مكان ما من هذا العالم؛ وليس من شك في أن بيت الركابيين سيعود إلى الظهور على مسرح الأحداث في المُلك الألفي، يوم تتم جميع النبوات المتعلقة بإسرائيل ويهوذا؛ ذلك شهادة لأمانة ذاك الذي ليس هو «إِنْسَانًا فَيَكْذِبَ، وَلاَ ابْنَ إِنْسَانٍ فَيَنْدَمَ»، فإنه «هَلْ يَقُولُ وَلاَ يَفْعَلُ؟ أَوْ يَتَكَلَّمُ وَلاَ يَفِي؟» (عد٢٣: ١٩).

في ذلك اليوم ينهل الركابيون من الأفراح الخالصة التي تفيض في أثناء مشهد حضرة عمانوئيل البهية، فلا يبدو حرمانهم من نتاج الكرمة أنه كان واجبًا ثقيلاً لما كانت اللعنة مستقرة على الأرض بسبب سقوط الإنسان.

تحذيرات لم تلق انتباهًا

كم من مآسي جرت في هذا العالم عندما لم تتحذر سيارات أو سفن أو أشخاص من علامات تحذيرات وأصوات إنذار تحذرهم من خطر داهم ولم يقدروا التحذيرات أو ربما لم يدروا به وأحيانًا اهملواه واحتقروه فهلكوا.

وعندما نتحدث عن إرميا ونبوته، فإننا نتذكر أنه قضى نحو ١٨ سنة من نحو ٤٠ قضاها في خدمة النبوة، يحذر شعبه من قضية استمرارهم في شرهم وعدم انتباههم إلى قضاء الله العاجل عليهم. ولم تلق تحذيراته انتباهًا فجاء البابليون وأهلكوهم.

ولكننا عندما نتحدث عن مصير أبدي وهلاك روحي، فالموضوع لا شك هو الأخطر على وجه الإطلاق. فالدينونة قادمة وأناة الله التي تنتظر الآن ستنتهي قريبًا جدًا وسنة الرب المقبولة وإنجيل نعمة الله الممتد لأكثر من ألفي عام وحتى الآن لا نضمن أن يتاح للقارئ العزيز ساعة واحدة أخرى.

لذا فالآن وقت مقبول الآن يوم خلاص. فهل خلصت بعد من خطاياك أيها القارئ العزيز؟ إن كنت لست متأكدًا فندعوك الآن وفورًا لقبول المسيح بالإيمان لتنال منه الغفران وتلق تحذيرات كلمته وإعلانات محبته اهتمامك وقبولك لخلاص نفسك الخالدة.

حياة يوسف

يوسف بجانب أبيه على فراش الموت

(تك٤٧: ٢٧ـ ٣١)

سكن يعقوب في أرض جاسان، وأخذ أبناؤه قطعانهم إلى تلك المراعي الدسمة، ووضعوا أساس الثروة العظيمة التي أصبحت من أكبر مميزات هذه الأمة «وَأَثْمَرُوا وَكَثُرُوا جِدًّا» (ع٢٧).

مضت سبعة عشر عامًا دون أن يستجد شيء من الحوادث الجسام، ومهما اشتد الوهن والضعف بذلك الشيخ فإن روحه بقيت منتعشة بمحبة يوسف، وبفرح قلبه بسبب رفعة وعظمة ابنه. وواضح أن يوسف كان دعامة تلك الحياة التي كانت في طريق الانحلال. ولذلك فم يستدعي الأب ابنه، لا مرة، ولا مرتين، بل ثلاث مرات إليه، وهو على فراش الموت. وستكون هذه الزيارات الثلاث موضوع تأملنا الآن قليلاً.

الكتاب المقدس هو كتاب الحياة. وقد خصصت صفحاته للتحدث عن أعمال أبطاله أكثر من التحدث عن موتهم، فتاريخ حياتهم يشغل أسفارًا كاملة، أما موتهم فتكفيه آيات قليلة، ولذلك فكلما وجدت وصفًا مفصلاً عن موت أحد الأبطال كانت هناك بواعث خاصة تستدعي شدة التفاتنا. وهذا ما نراه هنا.

١. زيارة يوسف الأولى:

«وَلَمَّا قَرُبَتْ أَيَّامُ إِسْرَائِيلَ أَنْ يَمُوتَ» * (ع٢٩). نعم يجب أن يموت، وليست هناك إمكانية في التملص من دعوة الموت. حينما يمد يده على كتف أي امرئ فإنه يتحتم

* أو "لما قربت الأيام التي يجب أن يموت فيها إسرائيل" حسب الترجمة الانكليزية.

أن يقوم ويتبعه، لقد زاد عمر يعقوب عن متوسط العمر في العصر الحاضر بسنوات كثيرة، ونجى من الموت نفسه مرارًا، ولكن هذا لم يكن ممكنًا أن يكون إلى الأبد، كان انحلال قواه يومًا بعد يوم نذيرًا له بأن ساعة الموت تقترب، نعم يجب أن يموت.

على أن موته قد فتح ثغرة في السحب الكثيفة التي جعلت العالم العتيد مظلمًا أمام أبنائه وأبناء أبنائه، فاستطاعوا من هذه الثغرة أن يروا قليلاً من حقيقة وجمال ذلك العالم العتيد. ونستطيع أن نستنتج بعضًا من الآراء التي جالت بخاطر يوسف حينما لبى دعوة أبيه ووقف بجانبه وهو على فراش الموت.

تعلن لنا آية من أسمى آيات العهد الجديد أن المسيح «أَبْطَلَ الْمَوْتَ وَأَنَارَ الْحَيَاةَ وَالْخُلُودَ بِوَاسِطَةِ الإِنْجِيلِ» (٢تي١: ١٠). لكن يجب أن لا نظن بأن الإنجيل قد كشف ما كان مجهولاً تمام الجهل من قبل، فقبل مجيء ربنا على هذه الأرض، بأجيال طويلة حاملاً مفاتيح القيامة والحياة، كان رجال العهد القديم يعيشون على رجاء الحياة الأبدية، وما كان الإنجيل إلا مسلطًا نورًا أقوى على ما كان مختفيًا جزئيًا، كما تنير الشمس كل معالم الأرض التي كانت غير واضحة كل الوضوح وقت الفجر، لقد أزاح المسيح عن النافذة ذلك الستار الذي كان نور الصباح يجاهد لكي يخترقه ليوقظ النائم.

ولسنا نجد صعوبة كبرى في إقامة الدليل على هذا، فدانيال يتحدث في صراحة تامة ووضوح لا لبس فيه عن قيامة عامة، أما إلى حياة أبدية، أو إلى العار للازدراء الأبدي (ص١٢).

وسفر الجامعة يختم بحثه بهذه الحقيقة الواضحة عن رجوع الروح إلى الله الذي أعطاها، وحقيقة الدينونة العامة (ص١٢).

ويبين أيوب في سفره – الذي يسميه البعض أنشودة الخلود – أنه عرف على الأقل أن وليه حي والآخر على الأرض يقوم، وأنه بعد أن يفنى جلده هذا وبدون جسده يرى الله (أي١٩: ٢٥و ٢٦).

وأما سفر المزامير فإننا نرى فيه أدلة كثيرة تؤكد أن أتقياء اليهود تمسكوا بشدة بهذا الرجاء «لأَنَّكَ لَنْ تترُكَ نفْسِي فِي الْهَاوِيَةِ. لَنْ تدَع تقِيَّكَ يَرَى فَسَادًا. تُعَرِّفُنِي سَبِيلَ الْحَيَاةِ» (مز١٦: ١٠و ١١).

وهذا الإيمان بحياة بعد القبر هو المفتاح الحقيقي لحياة البطاركة الثلاثة الأولين الذين رقدوا معًا في مغارة المكفيلة.

فلماذا تجولوا هنا وهناك في أرض الموعد كغرباء في أرض غريبة؟ لماذا ارتضوا أن لا يكون لهم ميراث ولا وطأة قدم؟ لماذا سكن إبراهيم مع إسحق ويعقوب في خيام واهية سريعة الانحلال بدلاً من السكن في مدن كسدوم وعمورة؟ وماذا كان يعني إبراهيم عندما قال لبني حث «أَنَا غَرِيبٌ وَنَزِيلٌ عِنْدَكُمْ» (تك٢٣: ٤). وماذا كان يجول بخاطر يعقوب عندما وصف حياته، وهو ماثل أمام فرعون بأنها "غربة"؟ في الاصحاح الحادي عشر من الرسالة إلى العبرانيين تجدها واضحة في قائمة أبطال الإيمان، يقول الرسول في هذا الاصحاح أنهم كانوا «يَبْتغُونَ وَطَنًا أَفْضَلَ». وكان كل تفكيرهم محصورًا في هذا، حتى أنهم لم يقبلوا أي ميراث في كنعان. ويدل رفضهم امتلاك أكثر من قبر في أرض الموعد على أنهم كانوا يتطلعون بشوق وحنين إلى تلك الأرض البعيدة.

لاشك في أنهم في بداية الأمر كانوا يعتقدون أن أرض كنعان هي أرض الموعد، لكنهم إذ انتظروها سنة بعد سنة، وكانت لا تزال بعيدة عنهم، تطلعوا ثانية إلى عملية إلهية، فتعلموا أن هناك أعماقًا فيها لم تخطر ببالهم قط، وإذ كانوا لا يزالون يرقبون

وينتظرون تبددت سحب الزمن فرأوا أرضًا ترمز إليها الأرض التي تفيض لبنًا وعسلاً، وبدل المدينة صُنع أيدي الناس ظهرت لهم رؤيا مجيدة عن الجدران البلورية والأبواب اللؤلؤية للمدينة التي لها الأساسات التي صانعها وبارئها الله، والتي أعدها للذين يحبونه، هذه كانت وطنهم، هذه كانت مدينتهم الحقيقية، وكان تغربهم دليلاً وبرهانًا على يقينية إيمانهم وصحته.

هذا الاعتقاد في "مدينة الله" التي كتب عنها أوغسطينوس فيما بعد كتابه على ساحل أفريقيا، هو الذي دعم نفوس الكثيرين من القديسين، وأنعش حياتهم، وطمأنهم في ساعة الموت، وسلط نورًا قويًا عبر ظلمة القبر. «فِي الإِيمَانِ مَاتَ هؤُلاَءِ أَجْمَعُونَ، وَهُمْ لَمْ يَنَالُوا الْمَوَاعِيدَ، بَلْ مِنْ بَعِيدٍ نظَرُوهَا (كما يرى النار والأبنية المرتفعة من بعيد فتنبئ عن مدينة قادمة) وَصَدَّقُوهَا وَحَيُّوهَا» كما يحيي الغريب وطنه إذ يبصره عن بعد، لابد أن يكون هؤلاء المتغربون المتعبون قد تطلعوا إلى السماء بلهفة وحنين ورجاء أكيد. لهذا لاق بيعقوب على فراش الموت أن يقطع سلسلة نصائحه الوداعية ليقول «لِخَلاَصِكَ انْتَظَرْتُ يَا رَبُّ» (تك٤٩: ١٨). وهذا ما أزال المرارة عن كأس موته.

لاحظ أن يعقوب لم يعتبر الحياة العتيدة مجرد حالة وجود خالية من كل الرفاق الذين يجعلون للحياة قيمة، والواقع أنه يبدو أن آراءه في هذه الناحية كانت أسلم من الكثيرين ممن يوجدون في الكنائس المسيحية اليوم، لقد قال «أَنَا أَنْضَمُّ إِلَى قَوْمِي» (تك٤٩: ٢٩). يقينًا أنه لم يقصد مجرد الدفن في قبرهم، لأنه يعبر عن هذه الفكرة فيما بعد بهذه الكلمات «ادْفِنُونِي...فِي الْمَغَارَةِ الَّتِي فِي حَقْلِ الْمَكْفِيلَةِ»، نعم أنه قصد أن يقول أن المدينة التي سوف يذهب إليها هي مجتمع عشيرته، مكان لقاء نفوس المختارين، وطن كل الذين كانوا شعبه لأنهم كانوا شعب الله.

في تلك المدينة تتجمع نفوس كل القديسين سنة بعد سنة، وهم الآن في انتظارنا، وعندما نغادر هذا العالم فإننا لا نذهب إلى عالم بارد، عديم العطف، في ظلمة القبر، لا صوت فيه يحيينا، أو ابتسامة ترحب بنا، بل سوف نذهب إلى قومنا، أولئك الذين أحببناهم ثم فقدناهم، الذين ينتظرون وصولنا بفارغ الصبر، ويستقبلوننا بترنيمة الظفر والتسبيح.

على أن يعقوب لم يستدع يوسف لمجرد إعلان هذه الحقيقة إليه، إنما أراد الأب أن يربط الابن بوعد أكيد أن لا يدفعه في أرض مصر، بل يحمله إلى تلك المغارة التي كانت تبدو كمركز لطليعة الجيش في أرض كنعان، ظل يعقوب في أرض مصر سبعة عشر عامًا، ألف فيها مناظر هياكل مصر الضخمة، ومسلاتها وأهراماتها، وكان محاطًا بكل عوامل الراحة التي أمدته بها محبة يوسف البنوية، ولكن شيئًا من كل هذه لم يُنسه تلك المغارة السحيقة التي أمام ممرا في أرض كنعان، كان في اعتقاده أن دفنه في أفخم هرم في مصر لا يُقارن بالمرة بدفنه في ذلك القبر المتواضع الذي ضم بقايا إبراهيم وسارة، إسحق ورفقة، وليئة الأمينة، في انتظار يوم القيامة.

لم تكن الطبيعة البشرية وقتئذ تختلف عما هي عليه الآن، إن مقابر الأعزاء أماكن عزيزة علينا، وأينما ذهبنا عادت قلوبنا إليها، واتجهت أنظارنا إليها اتجاه عبر البحار إلى النجمة القطبية، لهذا فكم من أبطال ماتوا في أرض غريبة وطلبوا أن يُدفنوا لا في المقابر الفخمة حيث يقيمون، بل في مقابر أوطانهم الوضيعة التي تحمل أسماء عائلاتهم، إذن فقد كان طبيعيًا أن يطلب يعقوب بأن يُدفن في المكفيلة.

على أنه كانت هناك ما هو أكثر من مجرد العواطف الطبيعية، كان يعقوب رجل الإيمان، لقد عرف الوعد الذي وعد به الله إبراهيم أن تكون كنعان ملكًا لنسله، كان هذا الوعد موضوع تفكير دائم لذلك الشيخ، كان يعرف أن كنعان — لا مصر — هي

مكان إقامة شعبه الدائمة، وأنهم لن يستقروا إلى الأبد في مصر مهما خصبت أرض جاسان، أو حسنت معاملة أهلها. سوف يضرب البوق معلنًا خروجهم يومًا ما، فلو أنه دُفن في مصر لكان قد ترك غريبًا بين الغرباء، كلا، بل إن كان لابد لهم من الرحيل فليرحل قبلهم، وإن كان لابد لهم من أن يستقروا في أرض الموعد فليسبقهم إليها وينتظرهم. وبالرغم من عدم استطاعته مشاركتهم في أخطار وآلام وأمجاد الخروج إلا أنه سوف يتلقاهم هناك عند الدخول إلى ميراثهم فيما بعد.

«وَلَمَّا قَرُبَتْ أَيَّامُ إِسْرَائِيلَ أَنْ يَمُوتَ دَعَا ابْنَهُ يُوسُفَ وَقَالَ لَهُ: «إِنْ كُنْتُ قَدْ وَجَدْتُ نِعْمَةً فِي عَيْنَيْكَ فَضَعْ يَدَكَ تحْتَ فَخْذِي وَاصْنَعْ مَعِي مَعْرُوفًا وَأَمَانَةً لاَ تَدْفِنِّي فِي مِصْرَ، بَلْ أَضْطَجِعُ مَعَ آبَائِي، فَتَحْمِلُنِي مِنْ مِصْرَ وَتَدْفِنُنِي فِي مَقْبَرَتِهِمْ» (ع٢٩و ٣٠) أي ابن يرفض هذا الطلب؟ أيجرؤ أحدنا على رفض تمنيات أحبائنا الأخيرة؟ كان يوسف أطيب وأرق من أن يتردد لحظة واحدة. «فَقَالَ أَنَا أَفْعَلُ بِحَسَبِ قَوْلِكَ». على أن ذلك الشيخ لم يقنع بمجرد وعد. «فَقَالَ احْلِفْ لِي فَحَلَفَ لَهُ. فَسَجَدَ إِسْرَائِيلُ عَلَى رَأْسِ السَّرِيرِ» وهكذا انتهت زيارة يوسف الأولى لأبيه وهو على سرير الموت.

٢. زيارة يوسف الثانية:

أتت الأنباء إلى رئيس وزراء مصر بأن أباه مريض، وأنه يريد رؤيته، فذهب إليه بلا إبطاء، آخذًا معه ابنيه منسى وإفرايم (تك٤٨: ١)، ولا شك في أنه ظن أن مرض أبيه هو نهاية مرحلة حياته، ولعل نص الرسالة التي وصلته عن المرض كانت تؤيد هذا الظن.

ولما وصل إلى منزل أبيه الذي كان قد وهبه له، يبدو أن ذلك الشيخ كان راقدًا في سكون، في أقصى درجات الإعياء الجسدي، وعيناه مغمضتان، كان أضعف من أن يميز هيئة الواقفين حوله. ولكن عندما «وَقِيلَ لَهُ هُوَذَا ابْنُكَ يُوسُفُ قَادِمٌ إِلَيْكَ» (ع٢)

كان مجرد ذكر هذا الاسم المحبوب كافيًا لإنعاش نفسه «فَتَشَدَّدَ إِسْرَائِيلُ وَجَلَسَ عَلَى السَّرِيرِ»

واضح أنه لم يتطرق الضعف على قوة ذاكرة ذلك الشيخ المتهدم عندما ذكر الماضي بكل ما فيه، ومرة أخرى خيل إليه أنه راقد عند قدمي ذلك السلم الرمزي، تصعد عله الملائكة وتنزل، ويقف الله القادر على كل شيء عند رأسه يتعهد بأن يجعله مثمرًا، ويعطيه ونسله أرض غربة آبائه ملكًا أبديًا (ع٣، ٤) لم يستطع الزمن الطويل أن يمحو الأثر الذي تؤكده هذه الكلمات، وحتى لو كان قد عاش أطول مما عاش متوشالح لكان قد استمر يحس بنغماتها الموسيقية ترن في قلبه. ألم يتممها الله بحذافيرها، فلم يسقط منها حرف واحد؟ وقد كان نسله واثقًا من امتلاكه للأرض كل الثقة، حتى وان كانوا وقتئذ قد أبعدوا عن امتلاكها الفعلي.

وإذ استعادت ذاكرته الماضي فإنه أيضًا لم ينس تاريخ العائلة الحديث، لم ينس أن يوسف كان له ابنان، ثم أعلن عن رغبته في أن يتبناهما، «وَالآنَ ابْنَاكَ الْمَوْلُودَانِ لَكَ فِي أَرْضِ مِصْرَ، قَبْلَمَا أَتَيْتُ إِلَيْكَ إِلَى مِصْرَ هُمَا لِي. أَفْرَايِمُ وَمَنَسَّى كَرَأُوبَيْنَ وَشِمْعُونَ يَكُونَانِ لِي» (ع٥)، وبذلك أمكن أن يكون ليوسف نصيب مضاعف في أرض كنعان ولو أن اسمه قد مُسح من خريطة كنعان، ولكن ولديه أفرايم ومنسى كانا يمثلانه.

وبعد أن قال يعقوب هذا شرد فكره إلى مسافات أبعد، لقد رأى ثانية ذلك المنظر في الطريق إلى بيت لحم، قبيل أبواب تلك القرية الصغيرة، حيث توقف عن المسير فجأة، وتوقف الركب كله وبسبب موت راحيل المحبوبة، لم ينس قط تلك اللحظة المشئومة، وارتسمت أمام عينيه مرة أخرى تلك البقعة التي دفنها فيها «حَتَّى آتِيَ إِلَى أَفْرَاتَةَ» (ع٧).

وبعد أن عاد يعقوب من خياله الذي سبح فيه برهة كان أول منظر استوقف نظره وجود ابني يوسف اللذين تملكهما الفزع والرعب، واللذين كانا ينصتان بإصغاء تام إلى كل كلمة.

قال إسرائيل «مَنْ هذَانِ؟» (٨).

فأسرع يوسف وأجاب «هُمَا ابْنَايَ اللَّذَانِ أَعْطَانِيَ اللهُ ههُنَا» (٩) فقال إسرائيل «قَدِّمْهُمَا إِلَيَّ لأُبَارِكَهُمَا».

«فَقَرَّبَهُمَا إِلَيْهِ فَقَبَّلَهُمَا وَاحْتَضَنَهُمَا». ومرة أخرى سبح يعقوب في خياله، فتذكر الأيام المريرة التي جُرح فيها قلبه جرحًا لا يقل عن جرحه بسبب وفاة راحيل، والتفت إلى يوسف وذكّره بالسنين الطويلة التي كان يخيل إليه فيها أنه لن يرى وجهه ثانية. أما الآن فان الله — الذي قد يسمح لأولاده بالانتظار، ولكنه يجب أن يملأ حياتهم بالبركة — أراه نسله أيضًا.

وبروح النبوة صلب يديه على الفتيين اللذين وقفا أمامه في انتظار البركة، فوضع يده اليمنى على رأس الصغير واليسرى على الكبير. وبهذا عكس الوضع ففضل الصغير على الكبير، وعبثًا حاول يوسف أن يصحح هذا الوضع، لأن أباه الشيخ كان يدري تمامًا ما يفعل، وأنه أنما كان بذلك يتمم قصدًا إلهيًا. «عَلِمْتُ يَا ابْنِي، عَلِمْتُ. هُوَ أَيْضًا يَكُونُ شَعْبًا، وَهُوَ أَيْضًا يَصِيرُ كَبِيرًا. وَلكِنَّ أَخَاهُ الصَّغِيرَ يَكُونُ أَكْبَرَ مِنْهُ، وَنَسْلُهُ يَكُونُ جُمْهُورًا مِنَ الأُمَمِ» (١٩).

لم يكن هذا أمرًا تحكيميًا أو استبداديًا، إذ لابد أنه كانت في أفرايم – وفي نسله من بعده – صفات جعلته بطبيعة الحال في المقدمة. في العهد القديم نجد أبواب الرجاء مفتوحة لأصغر الأبناء، كان يعقوب الإبن الأصغر، وهكذا كان موسى، وجدعون وداود، ليس أمرًا كثير الأهمية أن يولد المرء في الحياة باسم ضخم أو ثروة عظيمة، بل الأولى أن يعتمد على يمينه وعلى بركة القدير، الله لا يأخذ بالوجوه، وهو يرفع الأصغر إلى أرفع الصفوف إن رأى الصفات المؤهلة، وسيضع الأكبر إلى أدنى الصفوف إن تجرد من الصفات النبيلة، وهكذا يصبح الأولون آخرين، والآخرون أولين.

تشجع يا من تقلق من أجل طعامك اليومي. فإن كان الرب قد رعى يعقوب مدة مائة وسبعة وأربعين عامًا فلا شك في أنه لن ينساك في أيام حياتك الأقصر.

وإذ وضع البطريرك يديه المصلبتين على رأسي الغلامين نطق بكلمات عذبة مليئة بالشكر والعرفان عن الملاك الذي خلصه من كل شر. كان اختيار الكلمات والتحدث عن الملاك بكيفية تشعر أنه أنما يعني الله الذي رعاه منذ وجوده، كافيين للبرهان على أنه إنما كان يتحدث عن يهوه الذي طالما أشير إليه بملاك في العهد القديم، والذي لا يمكن أن يكون إلا الأقنوم

الثاني من الثالوث المقدس، الذي كانت لذاته دوامًا في بني البشر (أم٨: ٣١)، والذي طالما ظهر في هيئة ملاك قبل أن يتخذ صورة الإنسان.

ونحن أيضًا لنا ملاك حارس، هو الرب يسوع المسيح، فإن أردت الخلاص من كل شر، سيما من شر الخطية، أترك نفسك تحت حمايته، وإن كان قد بدأ عمله الفدائي قبل التجسد والموت والقيامة بأجيال طويلة فكم يكون استعداده لخلاصنا الآن وهو يجلس عن يمين الله؟

تشجع يا من تقلق من أجل طعامك اليومي. أصغ لشهادة ذلك الرجل عند موته التي يقول فيها «الَّذِي رَعَانِي مُنْذُ وُجُودِي إِلَى هذَا الْيَوْمِ»، وان كان الرب قد رعاه مدة مائة وسبعة وأربعين عامًا فلا شك في أنه لن ينساك في أيام حياتك الأقصر.

كان قد بقي أمر واحد يقوله قبل اختتام حديثه الخالد. منذ سنوات طويلة كان أولاده قد سببوا له بعض المشاكل مع سكان كنعان الأصليين، فاضطر – دفاعًا عن نفسه – أن يحصل بالقوة على قطعة أرض بسيفه وقوسه. والآن نراه يهب هذه الأرض لابنه المحبوب كنصيب إضافي (ع٢٢).

ليت جميع الشبان الذين يقرأون هذه الكلمات يتصرفون مع والديهم تصرفًا لا يقض مضاجعهم، بل يكونون موضوع فخرهم في حياتهم، وعزائهم عند وفاتهم. وبذلك ينالون بركة أبائهم وهم على فراش موتهم، ولا تكون لهم فرصة للأسف والندم. إن بركة الآباء وقت الموت أثمن من الذهب ومن كل متاع.

٣. زيارة يوسف الثالثة والأخيرة:

مرة أخرى زار يوسف تلك الغرفة التي مات فيها أبوه. كانت هذه هي الزيارة الثالثة والأخيرة، ولكنه في هذه المرة وقف كواحد من إثني عشر رجلاً اجتمعوا حول أبيهم في

ساعاته الأخيرة، وقد علت وجهه صفرة الموت، واستضاءت روحه بنور النبوة، يا لعمق ذلك الفزع الذي استولى على نفوسهم عندما سمع كل واحد اسمه من بين شفتي أبيهم المرتعشتين، وكان الصوت تارة يتوقف للنفس، وتارة يتكلم بصعوبة شديدة، لخصت صفات كل منهم بروح النبوة، واستعيدت بوضوح ذكريات أبرز النقط في تاريخ الجميع، كما تضمنت بعض نبوات عن مستقبلهم.

يرمز هذا المنظر لكرسي الدينونة، حيث يسمع البشر تاريخ حياتهم، كما يسمعون الحكم الذي لا راد له.

وعندما جاء دور الحديث عن مصير الابن العزيز تكلم البطريرك بعذوبة خاصة، فاضت كلماته رقة وبلاغة وحلاوة دلت على أن أعماق قلبه قد تحركت كلها. كانت هذه هي ختام موسيقاه الشجية، وختام روح النبوة، وهذه تعطينا فكرة عن عمق نفسه، عن أفكاره الخفية، عن الأثمار والصبر والقوة والبركة التي خلقتها في داخله سلسلة الآلام والنكبات، إذ كانت السنوات تمر ببطء.

وبعد كلمات أخرى قليلة لبنيامين ضم البطريرك الوقور رجليه إلى السرير، وأسلم الروح بهدوء، وانضم إلى قومه. أما تلك الروح التي تمررت كثيرا فقد انتقلت إلى مناظر أخرى، إلى شركة أسمى، خدمة أجلّ، لا نهائية، لأن الله، فيما بعد، شهد لوجوده الخالد ونشاطه المستمر، حينما دعا نفسه بأنه «إِلهَ يَعْقُوبَ »، فإنه ليس إله أموات بل إله أحياء.

«فَوَقَعَ يُوسُفُ عَلَى وَجْهِ أَبِيهِ وَبَكَى عَلَيْهِ وَقَبَّلَهُ» (تك٥٠: ١). وأمر الأطباء بتحنيط جسده، كأنما أراد أن ينكر على الموت انتصاره الذي حازه الآن مباشرة.

تأملات هادئة

ماكينتوش

«كُونُوا أَنْتُمْ أَيْضًا مَبْنِيِّينَ -كَحِجَارَةٍ حَيَّةٍ- بَيْتًا رُوحِيًّا، كَهَنُوتًا مُقَدَّسًا، لِتَقْدِيمِ ذَبَائِحَ رُوحِيَّةٍ مَقْبُولَةٍ عِنْدَ اللهِ بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ... فَلَكُمْ أَنْتُمُ الَّذِينَ تُؤْمِنُونَ الْكَرَامَةُ، وَأَمَّا لِلَّذِينَ لاَ يُطِيعُونَ، فَالْحَجَرُ الَّذِي رَفَضَهُ الْبَنَّاؤُونَ، هُوَ قَدْ صَارَ رَأْسَ الزَّاوِيَةِ وَحَجَرَ صَدْمَةٍ وَصَخْرَةَ عَثْرَةٍ. الَّذِينَ يَعْثُرُونَ غَيْرَ طَائِعِينَ لِلْكَلِمَةِ، الأَمْرُ الَّذِي جُعِلُوا لَهُ وَأَمَّا أَنْتُمْ فَجِنْسٌ مُخْتَارٌ، وَكَهَنُوتٌ مُلُوكِيٌّ، أُمَّةٌ مُقَدَّسَةٌ، شَعْبُ اقْتِنَاءٍ، لِكَيْ تُخْبِرُوا بِفَضَائِلِ الَّذِي دَعَاكُمْ مِنَ الظُّلْمَةِ إِلَى نُورِهِ الْعَجِيبِ» (١بط٢: ٥-٩)

إن خدام المسيح نوعان يمكنهما تحت الظروف القاسية أن يجاهدوا حسنًا في صورة لكهنوت مقدس وكهنوت ملوكي. في (أع١٦: ١٩-٣٤) نجد كلاً من بولس وسيلا في السجن الداخلي في فيلبي والسياط وأثرها الدامي على أجسادهما وأرجلهما في المقطرة، ماذا عساهما يعملان: هل يتذمران، يشكوان؟ كلا فكهنوتهما ملوكي؛ كانا يصليان ويسبحان الله! كم ذلك أمر عظيم! فلم تكن الضربات أو القيود أو الظلام الدامس ذات أثر في الكهنوت المقدس! ليس إلا خلفية داكنة يبزغ منها أمن مشع للنعمة التي تملأ كيانهما.

كم هي هشاشتنا؛ فإن القليل مما يزعج حياتنا اليومية كفيل بأن نفقد توازننا. أما بولس وسيلا في اختبار ظروف قاسية إلا أنهما كانا حجارة حية وكهنوت مقدس.

كما إنهما – أيضًا – كهنوت ملوكي؛ وكيف بدا ذلك؟ ليس بتوزيع الفضة والذهب بالتأكيد كما يفعل الكثير من الأثرياء؛ بل كان لديهما ما يفوق ذلك بكثير؛ إنه فضائل ذاك الذي دعاهم من الظلمة إلى نوره العجيب! ومتى لمعت تلك الفضائل؟ بتلك الكلمات النافذة للسجان «لاَ تَفْعَلْ بِنَفْسِكَ شَيْئًا رَدِيًّا!» (أع١٦: ٢٨) إن كلمات الكهنوت المقدس اتجهت مباشرة إلى عرش الله وعملت مفعولاً في قلب السجان القاسي. لقد تمجد الله وخلص السجان برجلين أظهرا وأفرغا طاقات ووظائف الكهنوت المسيحي.

مفاجآت السماء

يحاول العدو إيهامنا بأن الله يفاجئنا كثيرًا في حياتنا بمواقف صادمة ومفاجآت مؤلمة. وهذا كذب بالقطع. فمع الإعتراف بأن رحلة حياتنا لا تخلو من المنغصات، إلا أن سببها عادة إما حصاد لما زرعناه نحن أو نتيجة لوجودنا في عالم رئيسه إبليس واقع تحت سلطة الشر والخطية، بكل نتائجها الزمنية المدمرة التي لا يعفينا الإيمان منها.

لكن المؤكد هو أن الرب صالح جدًا، وكل عطية صالحة وكل موهبة تامة هي نازلة من عنده له المجد (يع١). وأن كل مفاجآت السماء سارة جدًا (ولا نقول مفاجآت الحياة التي هي أيضًا تحت سلطان السماء).

إن كل مفاجآت الرب لإبراهيم في تكوين ١٨، ومفاجأته لزكريا واليصابات في لوقا ١ من جهة الابن. ومفاجأته لموسى في العليقة، ومفاجأته للشعب بخلاصهم، ومفاجأته لزكا لأن يدخل بيته، ومفاجأته للتلاميذ بأنه قام، وهو لحظتها في وسطهم، وملايين المفاجآت السارة تمتليء بها صفحات الكتاب وحياتنا كمؤمنين بكل يقين.

إن تجسده مثل مفاجأة سارة لكل الأتقياء ولكل البسطاء. وحياته أدخلت بالمفاجآت سرورًا لمَنْ لا يُحصَى من المرضى روحيًا وزمنيًا وممَّن تسلَّط عليهم إبليس. وقريبًا جدًا في لحظة مرتقبة ولكنها ستفاجئنا سيأتي إلينا لأخذنا إليه!

ليتنا نركز عيون إيماننا ونحن نعبر أصعب وأقسى وآخر لحظات غربتنا، نركزها على السماء. ونثق أن كل صلاح يأتي من إلهنا المحب. وكل تجربة مؤلمة يسمح لنا بها هي تحت إشرافه وسلطانه وهي لخيرنا ليس إلا «وَنَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّ كُلَّ الأَشْيَاءِ تَعْمَلُ مَعًا لِلْخَيْرِ لِلَّذِينَ يُحِبُّونَ اللهَ» (رو٨: ٢٨).